



## المدارس النحوية – مدرسة الأندلس نموذجًا

*Nahiv Ekolleri (Örnek Olarak El-Endülüs Ekolü)*

*Grammar Schools - Al-Andalus School as a Model*

### المخلص

دخل الإسلام إلى الأندلس، وسعى أهلها إلى تعلم العربية وتعليمها، وكان ذلك بعد أن استقرت مناهج النحو في المشرق، في البصرة والكوفة وبغداد، وكان أكثر علماء الأندلس من قراء الذكر الحكيم، فكان كثير منهم يرحلون إلى المشرق لتلقي هذه القراءات، ثم يعودون إلى بلادهم لتعليم ما أخذوه من العلماء المشاركة؛ وبسبب الإقبال على القراءات، اهتم العلماء الأندلسيون بالنحو؛ لنشر اللغة العربية وعلومها في أوساط الأسيان المستعربة الذين كانوا حديثي عهد بهذه اللغة. وقد أخذ علماء الأندلس علم النحو عن المدارس النحوية (الكوفة، والبصرة، وبغداد) وعلماؤها، حيث لقي النحو اهتماما كبيرا من الأندلسيين؛ وذلك لصلته بمصدري التشريع الإسلامي: القرآن والسنة، وقد أصبح النحو في الأندلس ذا اتجاهين: أحدهما كوفي، والآخر بصري، وبقي الأمر على هذه الحال إلى أن ظهر النحو البغدادي في الأندلس الذي كان له أثرًا كبيرًا في درس النحو الأندلسي، ثم بذل نحاة الأندلس الجهود لإيجاد منهج خاص بهم في تعليم ودراسة النحو، وسعى الأندلسيون إلى تبسيط النحو من خلال شرح الكتب النحوية المشرقية، ووضع المنظومات التي تسهل على المتعلمين دراسة النحو، وتآليف الكتب المختصرة، وعملوا على الاستشهاد بالقرآن وقراءاته، وأكثروا من الاستشهاد بالحديث الشريف؛ وذلك لعدم تمكنهم من مشافهة العرب الأقحاح، ولكونه المنبع الأول للثقافة الإسلامية، وبرز منهم علماء أجلاء كتبوا المصنفات، ووضعوا المؤلفات، حتى ملأت الأندلس الأسماع، ولاسيما في النحو العربي.

**الكلمات المفتاحية:** اللغة العربية، النحو العربي، المدارس النحوية، المدرسة الأندلسية، الآراء النحوية

### ÖZET

İslam Endülüs'e girdi ve Endülüs halkı Arapça öğrenmek ve öğretmek konusunda çok çaba gösterdi ve bu durum, Doğu'da Basra, Küfe ve Bağdat'ta gramer ekollerinin yerleşip olgunlaşmasından sonra. Kuranla tanışan ve okuyan Endülüslü âlimlerin çoğu kuran bilgilerinin geliştirmek için orta doğuya geliyor ve orta doğulu âlimlerden aldıkları yeni bilgileri öğretmek için tekrar memleketlerine dönüyorlardı. Endülüslü âlimlerin bu okuma isteği âlimlerin Arap dilini ve ilimlerini bu dile yeni başlayan Araplaşmış İspanyollar arasında yaymak amacıyla nahiv konularına önem vermelerine sebep oldu.

Böylece Endülüs âlimleri nahiv ilmini nahiv ekollerinden (Küfe, Basra, Bağdat) aldılar ve Arapçanın nahiv konusu, İslami kanunların iki kaynağı olan Kur'an ve sünnet ile bağlantısı nedeniyle Endülüslülerden büyük ilgi gördü. Endülüs'te gramer, biri küfi Basri, iki ekol haline geldi. Endülüs gramer dersi üzerinde büyük etkisi olan Bağdadi gramerinin Endülüs'te ortaya çıkmasına kadar nahiv konusu bu halde kaldı. Daha sonra Endülüslüler nahiv öğretimi ve öğrenimi konusunda kendi müfredatlarını bulma çabasına girdiler ve Endülüslüler, doğu kitaplarını açıklayarak ve öğrencilerin nahiv çalışmalarını ve kısa kitaplar yazmalarını kolaylaştıran sistemler kurarak dilbilgisini kolaylaştırmaya çalıştılar. Ve Kuran'ın ve sünnetin okunuşlarını alıntılama çalıştılar ayrıca hadis-i şerifleri giderek daha fazla alıntıldılar. Bunun sebebi orijinal Araplarla iletişim kuramamaları ve bu kaynakların İslam kültürünün ilk kaynağı olmasıdır. Böylece Endülüs'ten özellikle nahiv konusunda kitaplar yazan seçkin âlimler çıkmıştır.

**Anahtar Kelimeler:** Arapça, Arapça Gramer, Nahiv Ekolleri, Endülüs Ekolü, Gramer Görüşleri

Betül Sultan <sup>1</sup>

### How to Cite This Article

Sultan, B. (2023). "النحوية – مدرسة الأندلس نموذجًا", International Social Mentality and Researcher Thinkers Journal, (Issn:2630-631X) 9(67): 2690-2699. DOI: <http://dx.doi.org/10.29228/smryj.67621>

Arrival: 09 November 2022  
Published: 31 January 2023

Social Mentality And Researcher Thinkers is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License.

### أسباب نشأة النحو العربي

#### النحو لغةً واصطلاحًا

**النحو لغةً:** مصدر (نحا – ينحو)، وهو القصد، نقول: نحا نحوه إذا قصده، وجاء في لسان العرب لابن منظور أن "التَّحْوُ: القصدُ والطَّرِيقُ، يَكُونُ ظَرْفًا وَيَكُونُ اسْمًا، نَحَاهُ يَنْحُوهُ وَيَنْحَاهُ نَحْوًا وَانْتَحَاهُ"<sup>2</sup>.

**النحو اصطلاحًا:** قام ابن عصفور بتعريف علم النحو تعريفًا شاملاً كاملاً بقوله: "علم مستخرج به بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي يتألف منها"<sup>3</sup>، وقد ذكر ابن الناظم في شرحه على ألفية ابن مالك أن النحو اصطلاحاً هو "عبارة عن العلم بأحكام مستنبطة من استقراء كلام العرب، وأعني أحكام الكلم في ذواتها، أو فيما يعرض لها بالتركيب لتأدية أصل المعاني من الكيفية والتقديم والتأخير، ليحترز بذلك عن الخطأ في فهم معاني كلامهم، وفي الحدو عليه"<sup>4</sup>، أما ابن منظور في اللسان يرى أن النحو هو "هُوَ انتحاه سَمَّتْ كَلَامَ الْعَرَبِ فِي تَصْرُفِهِ مِنْ إِعْرَابٍ وَغَيْرِهِ، كَالْتَنْبِيهِ وَالْجَمْعِ وَالتَّحْقِيرِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالْإِضَافَةِ وَالنَّسْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، لِيَلْحَقَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِأَهْلِهَا فِي الْفَصَاحَةِ فَيَنْطِقَ بِهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> Öğr. Gör., Ondokuz Mayıs Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Samsun, Türkiye

<sup>2</sup> ابن منظور، لسان العرب، (بيروت، دار صادر، الثالثة، 1990)، 2.309/15.

<sup>3</sup> ابن عصفور، المقرب، تحقيق: الحواري وعبد الله الجبوري، (بغداد، 1971)، 3.45/1.

<sup>4</sup> ابن مالك، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (دار الكتب العلمية، الأولى، 2000)، 4.4.

<sup>5</sup> ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة (نحو).



إن علم النحو من علوم اللغة العربية بل أهم علومها وأجلها، وأنفعها أثراً، به يُفَوَّمُ اللسان، وينطق بالبيان. وللنحو مكانة سامية، ومنزلة رفيعة عند العلماء، والباحثين، ودارسي اللغة العربية.

ومما دفع إلى ظهور هذا العلم أنه قد طرأت أمور وتبدلت أحوال عكرت صفو اللغة العربية، وذلك في منتصف القرن الأول، فكان ذلك دافعا إلى إيجاد قواعد تعصم من الخطأ في لغة القرآن الكريم؛ وكان ذلك بسبب دخول الأعاجم في الإسلام، واحتكاكهم ومخالطتهم للعرب بعد الفتوحات الإسلامية مما أدى إلى ظهور اللحن وتفشيهِ بين الموالي والمستعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فقد روي أن رجلا لحن بحضرته فقال: (أرشدوا أخاكم فإنه قد ضلَّ). يقول ابن جني في كتابه الخصائص: "تكاد الروايات تجمع على أن العرب قد أحسوا منذ منتصف القرن الأول الهجري خطرا يهدد لغتهم، وامتد هذا الخطر إلى النص القرآني"<sup>6</sup>.

وحرصاً من علماء المسلمين من وصول ظاهرة اللحن إلى القرآن الكريم، عمدوا إلى وضع قواعد لتعليم اللغة العربية وتأصيلها، بحيث تجد الأمم غير العربية مرجعاً لها في تعلمها لغة الدين الإسلامي، وبالتالي لفهم القرآن الكريم المصدر الأول في التشريع الإسلامي والسبيل إلى فهم العقيدة بشكل صحيح.

يقول أبو بكر الزبيدي في طبقات النحويين واللغويين: "لم تزل العرب تنطق على سجيبتها في ماضي الإسلام وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الإسلام فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا إليه أرسالا، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة ففشى الفساد في اللغة العربية"<sup>7</sup>.

ولحفظ اللغة العربية التي يعتز بها أصحابها اعتزازاً شديداً، وبخافون عليها من التأثير باللغات الأخرى، وخاصة بعد أن طالت ظاهرة اللحن القرآن الكريم، سعى أصحاب الهمم إلى التفكير في وسيلة تخدم القرآن ولغته؛ فقام أبو الأسود الدؤلي بإرساء قواعد علم النحو بتوجيه من الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فكانت نشأة النحو، وفي ذلك يقول ابن سلام الجمحي "وكان أول من أسس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها، ووسع قياسها أبو الأسود الدؤلي"<sup>8</sup>.

ويرى ابن جني في كتابه الخصائص "أن النحو طريق كحكاية العرب في طريقة كلامهم؛ وذلك من أجل تجنب اللحن، ولتمكين المستعربين من الوصول إلى مرتبة العربي في الفصاحة، وسلامة اللغة التي يتكلمها، وبالتالي يكون غرض علم النحو هذين الهدفين"<sup>9</sup> وبذلك وجد المستعربين ما يعصمهم من الخطأ عند التكلم بالعربية أو عند قراءة النص العربي.

ولخص لنا د. شوقي ضيف أسباب نشأة علم النحو في "ثلاثة بواعث: دينية، قومية، اجتماعية.

#### - البواعث الدينية:

ترجع إلى الحرص الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم أداءً فصيحاً سليماً إلى أبعد حدود السلامة والفصاحة، وخاصة بعد أن أخذ اللحن يشيع على الألسنة"<sup>10</sup> وكذلك لفهم القرآن الكريم فهما صحيحاً؛ فهو المصدر الأول والرئيس للأحكام الشرعية.

#### - الباعث القومي:

إن اعتزاز العرب بلغتهم "جعلهم يخشون عليها من الفساد والفناء والنوبان في اللغات الأجنبية"<sup>11</sup>

#### - البواعث الاجتماعية:

ترجع إلى أن الشعوب المستعربة أحست بالحاجة الشديدة لمن يرسم لها أوضاع العربية في إعرابها وتصرفها حتى تتمثلها تمثلاً مستقيماً، وتتقن النطق بأساليبها نطقاً سليماً، إضافة إلى ذلك رغبة الموالي في نيل المناصب في الدولة الأموية العربية، فعزموا على تعلم اللغة العربية وعلومها حتى أصبحوا من أهل هذه العلوم.

#### ظهور المدارس النحوية:

#### تعريف (المدرسة) لغويًا:

جاء في لسان العرب: "درست: أي تعلمت، ودرست الكتاب درسا أي دللته بكثرة القراءة حتى خفَّ حفظه علي"، والمدرسة اسم مكان يطلق على مكان الدرس والدراسة وطلب العلم والمعرفة، وتجمع على (مدارس).

#### تعريف (المدرسة) اصطلاحًا:

يرى أحمد مكي أن المدرسة "اتجاه له خصائص مميزة ينادي بها فرد أو جماعة من الناس ثم يعتنقها آخرون"<sup>12</sup>. وتبعاً لهذا التعريف فإن كل مدرسة لا بد لها من ريادي يحدد لها المنهج والطريقة، وأتباع يتبعون طريقته، ونظرية يؤمنون بها، وخطة يطبقونها.

"إن كلمة مدرسة تعبر لنا من الوهولة الأولى عن ذلك الزايب المعنوي والفكري الذي يجمع جماعة من الناس تحت قبة واحدة، يتدارسون فيها موضوعاً من مواضيع العلم في شتى المشارب والتخصصات، ولعلَّ ظهور علم النحو وتطوره دفع بالغيورين على اللغة العربية والقرآن الكريم إلى إيجاد جامع يجمع العلماء والمريدين من تلميذهم تحت لواء واحد"<sup>13</sup>، فنشأت بذلك ما يعرف بالمدارس النحوية، فهي تعني: "وجود جماعة من

<sup>6</sup>ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة، دار الكتب المصرية، الأولى، 1956)، 8/2.

أبو بكر، الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، الثانية)، 7، 11.

محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول العرب، تحقيق: محمود شاكر، (القاهرة، مطبعة المنى، الأولى، 1974)، 1/12، 8.

ابن جني، الخصائص، مرجع سابق، 34، 9.

شوقي ضيف، المدارس النحوية، (القاهرة، دار المعارف، السابعة)، 11، 10.

شوقي ضيف، المدارس النحوية، 12، 11.

أحمد مكي الأنصاري، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة، (القاهرة، 1964)، 87، 12.

<sup>13</sup> جمال سنوسي، و إسماعيل زغودة، المدرسة الأندلسية وجهودها في تجديد الدرس النحوي ابن مضاء القرطبي أنموذجاً، (مجلة التعليمية، 2021)، العدد 371، 256، 2.

التحاة يصل بينهم رباط من وحدة الفكر والمنهج في دراسة النحو، ولا بد أن يكون هناك الزائد الذي يرسم الخطة ويحدد المنهج، والتابعون أو المریدون الذين يقتفون خطاه ويتبنون منهجه ويعملون على تطويره والدفاع عنه<sup>14</sup>

قديمًا لم تستعمل كلمة (مدرسة) في تصنيف النحاة، وإنما كان ينتسب النحاة إلى البلدان التي ظهوروا فيها، ودرسوا نحوها، وعلموه؛ فيقال: كوفيون، وبصريون، وبغداديون، وأندلسيون، ومصريون. أو يطلق عليهم مسميات أخرى، مثل: علماء الكوفة، نحاة الكوفة، وأهل الكوفة، ونحو الكوفيين..... إلى أمثال هذه التسميات.

إذن القديما لم يستخدموا كلمة (مدرسة)؛ فقد كان المعيار الجغرافي هو الأساس في تقسيم النحاة، مما يوضح لنا سبب حمل كل مدرسة اسم المكان الذي ظهرت فيه، وكان هذا هو الأساس الذي سار عليه الدارسون المعاصرون الذين كانوا أول من أطلق كلمة (مدرسة)، قال بروكلمان " وقد قسم علماء العربية مذاهب النحاة إلى ثلاث مدارس: البصريون، والكوفيون، ومن مزجوا المذهبين من علماء بغداد".<sup>15</sup> وقد استعملت الكلمة نفسها عند د. مهدي المخزومي أول من تبنى هذه التسمية فسمى أحد كتبه (مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو)، وألف الدكتور شوقي ضيف كتابا سماه (المدارس النحوية).

وقد ظلت كلمة (مدرسة) تعني "مجموعة النحاة الذين كَوَّنوا درسًا نحويًا في بيئة معينة، سواء أضمهم منهج واحد خاص بهم له أسسه، وأصوله، وقواعده المعروفة المستقلة أم كان مبنياً على منهج من سبقهم إلا أنهم استقرَّوا في بيئة أخرى، وتأثروا بظروف البيئة الجديدة بعض التأثير".<sup>16</sup>

وعلى هذا فإن مصطلح المدارس النحوية يشير إلى اتجاهات مختلفة ظهرت في مجال دراسة علم النحو في اللغة العربية، وقد اختلفت هذه المدارس النحوية في بعض المسائل النحوية الفرعية، وقد ارتبط كلُّ منها بمدينة أو إقليم جغرافي معيَّن، كمدينة البصرة أو الكوفة أو بغداد أو كإقليم الأندلس أو مصر، فظهرت مدرسة البصرة، ومدرسة الكوفة، ومدرسة بغداد، ومدرسة الأندلس، والمدرسة المصرية.

### مدرسة الأندلس النحوية:

دخل الإسلام إلى الأندلس، فأقبل أهلها على تعلم العربية وتعليمها؛ وعلى وجه الخصوص تعلم علم النحو لما له من أهمية بالغة وصلبة وثيقة بمصدري التشريع الإسلامي: القرآن الكريم والحديث الشريف، وقد بدأ علم النحو في الأندلس بسيطاً على يد المؤدبين، ثم صار يتقدم شيئاً فشيئاً إلى أن أقبل عليه الأندلسيون راغبين في التزود من أصوله وفروعه، وكان ذلك بعد أن استقرت مناهج النحو في المشرق، في البصرة والكوفة وبغداد، وكان أكثر علماء الأندلس من قراء القرآن الكريم، فكان كثير منهم يرحلون إلى المشرق لتلقي هذه القراءات، ثم يعودون إلى بلادهم لتعليم ما أخذوه من العلماء المشاركة، ونشره في أوساط الإسبان المستعربين، وقد ساعدت هذه الرحلات في نشوء طبقة من المؤدبين والمعلمين كان لهم دور بارز في تعليم اللغة العربية وتطويرها والمحافظة عليها. ولقد ازدهرت دراسة النحو في الأندلس، حيث كان للنحو منزلة عالية عند الأندلسيين، فكانوا يعدونه أصلاً من أصول ثقافتهم، وكان العالم عندهم لا قيمة له إلا إذا كان بارعاً في النحو.

وقد بدأ النحو في الأندلس في منتصف القرن الثاني الهجري، وكان جودي بن عثمان الموروي الذي رحل إلى المشرق وتلمذ على يد الكسائي والفراء، أول نحاة الأندلس بالمعنى الدقيق لكلمة نحوي، وأول من أدخل إلى بلاده كتب الكوفيين، وكان العلماء الأندلسيون أكثر إقبالا على نحو الكوفة من نحو البصرة؛ وذلك بسبب شهرة كتاب الكسائي فيها أولاً، واهتمام أهل الأندلس به، وإن كانت الأندلس قد صبت عنايتها أولاً على النحو الكوفي، فإنها ما لبثت أن أقبلت على النحو البصري بعد أن قام الأفشين محمد بن موسى القرطبي بإحضار كتاب سيبويه معه من مصر إلى الأندلس، فانكبَّ النحاة عليه حتى احتل كتاب سيبويه عندهم مكان الصدارة من حيث الدرس والحفظ والشرح والتعليق والاهتمام.

### اتجاهات النحو في الأندلس وأطواره:

أصبح النحو في الأندلس ذا اتجاهين: أحدهما كوفي، والآخر بصري، وبقي الأمر على هذه الحال إلى أن ظهر النحو البغدادي في الأندلس الذي كان له أثرًا كبيراً في الدرس النحوي الأندلسي.

وهكذا استمر النحو في التطور حتى وصل إلى منتصف القرن الرابع الهجري وفيه علماء في النحو ازدهرت بهم قرطبة، وأصبحوا قبلة للطلبة يأخذون عنهم، فلم يطلَّ عصر ملوك الطوائف إلا ومدرسة الأندلس النحوية قد استقرت، واتضحت معالمها واكتملت.

وقد قسم الباحثون أطوار النحو الأندلسي تقسيماً بحسب الميقات الزماني إلى ثلاثة عصور<sup>17</sup> وهي:

- عصر الجمع والتكوين: ويبدأ من فجر تاريخ هذا العلم إلى نهاية القرن الخامس الهجري.
- العصر الذهبي للإنتاج النحوي: وهو في القرنين السادس والسابع الهجريين.
- عصر التشتت والتفرقة: وذلك في القرنين الثامن والتاسع الهجريين.

### تأثر نحاة الأندلس بالمدرسة الكوفية:

بدأ النحو في الأندلس كوفي النزعة، وكان أول من أدخل النحو إلى الأندلس هو جودي بن عثمان (ت 198هـ) الذي رحل إلى المشرق ودرس النحو على يد ثلة من علماء المدرسة الكوفية كالكسائي والفراء، فأدخل معه كتاب الكسائي، الذي نال شهرة عظيمة واهتماماً بالغا من قبل الأندلسيين، وبذلك صبت الأندلس جَلَّ عنايتها في بداية الأمر على النحو الكوفي مقتدية بنحوها الأول جودي بن عثمان، وقد استمرت الأندلس في مدرسة النحو الكوفي وحده قرابة قرن من الزمن، وإن كل هذا الاهتمام بالنحو الكوفي له أسبابه ومبرراته، منها: أن الأندلسيين عندما توجهوا لدراسة النحو المشرقي وجدوا مرادهم في النحو الكوفي الذي اتسم بالسهولة والبعد عن التعقيد مقارنة بالنحو البصري الذي اكتملت آراؤه، إضافة إلى ذلك كثرة الرواية عن العرب الفصحاء، الأمر الذي امتازت به مدرسة الكوفة، وكذلك ابتعاد نحاة الكوفة عن القياس، في حين أن البصريين تشددوا في مسألة القياس، الأمر الذي جعل الأندلسيين ينفرون من النحو البصري ويوجهون أنظارهم إلى النحو الكوفي الذي اعتمد على السماع، والتقليل من القياس، وهناك أمر لا يمكن إغفاله أبداً، وهي الكتب الكوفية المختصرة التي كانت خير وسيلة لتعليم النحو للمبتدئين من الأندلسيين، فقد كانت كتباً مختصرة، تعطي الفائدة دون إغراق في القوانين المنطقية والقياس.

### تأثر نحاة الأندلس بالمدرسة البصرية:

<sup>14</sup> أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، (القاهرة، عالم الكتب للنشر، الرابعة)، 290 / 200.

تاريخ الأدب العربي، تحقيق: عبد الحليم النجار، (دار المعارف، الخامسة)، 124/2 - 125<sup>15</sup>

حديقة، الحديث، المدارس النحوية، (إربد، دار الأمل، الثالثة، 2001)، 13،<sup>16</sup>

أمين السيد، الاتجاهات النحوية في الأندلس، (القاهرة، دار العلوم، 1975)، 143.<sup>17</sup>

اتخذ المذهب النحوي البصري منهجاً متفرداً في دراسة النحو، يقوم على اعتماد كثرة الشواهد في استنباط القاعدة، وإعمال القياس، هذا المنهج مكن المذهب البصري من إحكام قواعد النحو، وضبطها ضبطاً دقيقاً وجعله أوسع انتشاراً، حيث امتد أثره إلى إقليم الأندلس.

وقد تأخرت عناية الأندلسيين بالنحو البصري إلى أواخر القرن الثالث الهجري حيث أدخل الأفشنيق محمد بن موسى بن هاشم القرطبي (ت309هـ) كتاب سيبويه إلى الأندلس، بعد أن أخذ رواية عن أبي جعفر الدينوري (ت289هـ)، حتى كان الناس يتساءلون في الشخص هل يقرأ كتاب سيبويه؟ فإن قيل: لا، فيقولون: لا يعرف شيئاً. وكان دخول كتاب سيبويه إلى الأندلس سبباً في اعتناق الأندلسيين المذهب البصري، ولا نبالغ في القول أنهم جعلوا من هذا الكتاب المصدر الأول في دراسة علم النحو.

وقد اتبع عدد كبير من نحاة الأندلس المذهب البصري، منهم: ابن مالك، وابن عصفور، وابن خروف، والأعلم الشنتمري، كما كان لقدم أبي علي القالي إلى الأندلس سنة (330 هـ) أثر كبير في انتشار المذهب البصري، حيث حمل معه ذخائر الشعر والنحو واللغة من البصرة.

وقد وافق نحاة الأندلس المذهب البصري في كثير من المسائل من غير زيادة، مثل (المرفوع بعد إلا، ورافع المبتدأ والخبر، وعامل النصب في المنادى)، وخالف نحاة الأندلس المذهب البصري في بعض الآراء النحوية واستقلوا برأيهم، مثل قولهم في رافع العدد، وأصل التمييز منقول عن الفاعل أم المفعول، وقد سار الأندلسيون على نهج المذهب البصري في الاعتماد على القياس، ولم يخرجوا عن مذهبهم إلا في مسائل متفرقة لا تخرجهم عن أصول المذهب البصري.

### تأثر نحاة الأندلس بالمدرسة البغدادية:

بقي النحو الكوفي صاحب الانتشار الأوسع في بغداد، حتى اجتمع في بغداد رئيسا مدرستي الكوفة والبصرة، وراح منهما يعمل على نشر مذهبه على أوسع نطاق، وإثر ذلك نشأ جيل ثالث تأثر بالمذهبيين، وأخذ عنهما، فظهر مذهب جديد هو المذهب البغدادى في النحو، وقد وقف موقفاً وسطاً بين المذهبيين السابقين له، وخاصة في مسألة السماع والقياس، وكانوا يقبلون من القراءات الشاذة ما دعمته الرواية، وقام عليه الدليل، عدا الزمخشري فقد رفضها رفضاً تاماً، كما اتخذ البغداديون من الحديث النبوي الشريف مصدراً من مصادر السماع الأساسية، واحتجوا به في مواطن كثيرة.

وقد تأثر نحاة الأندلس بالمدرسة البغدادية في هذه المسألة أيضاً تأثر؛ فقد كان للحديث الشريف عند الأندلسيين بشكل عام مكانة عظيمة، ومقاماً رفيعاً في الاستشهاد به في النحو، وقد كانت السمة البارزة على نحاة الأندلس هي جواز الاستشهاد بالحديث الشريف وعده مصدراً من مصادر العربية، والاعتماد عليه في تعقيب القواعد النحوية والاحتجاج به، والاستئناس به، ولم يشذ عنهم إلا ابن الضائع وتلميذه أبو حيان، اللذان كان لهما موقف في الاستشهاد بالحديث<sup>(18)</sup>.

وممن استشهد بالحديث الأعلام الشنتمري في نكته على كتاب سيبويه وفي شرح أبيات الكتاب المسمى "تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب". وكذلك ابن سيده، وابن الطراوة، وابن عطية، وابن هشام اللخمي، وأبو القاسم السهيلي، وابن خروف، وابن معط، وأبو القاسم الصفار، والشلوبين، وابن عصفور، وابن مالك، وابن أبي الربيع والمالقي، والشاطبي، وغيرهم وقد ظهرت سمة الاستشهاد بالحديث واضحة المعالم عن كل من الإمام السهيلي وابن خروف وابن مالك.

يقول د. شوقي ضيف: "أخذت دراسة النحو تزدهر في الأندلس منذ عصر ملوك الطوائف؛ فإذا نحاتها يخالطون جميع النحاة السابقين من بصريين وكوفيين وبغداديين، وإذا هم ينتهجون نهج الأخيرين من الاختيار من آراء نحاة الكوفة والبصرة، ويضيفون من آراء البغداديين وخاصة أبا علي الفارسي وابن جني، ولا يكتفون بذلك؛ بل يسبغون في اتجاههم من كثرة التعليقات والنقود إلى بعض الآراء الجديدة، وبذلك يتيحون لمنهج البغداديين المزيد من الخصب والنماء"<sup>19</sup>.

### وسائل الأندلسيين في اكتساب علوم المشرق العربي وخاصة علم النحو:

إن البدايات الأولى للمسلمين في الأندلس عرفت فراغاً فكرياً في شتى العلوم إلى أن استقل بنو أمية بالأندلس، فاستقبلت الأندلس عهداً جديداً، وبدأت الحركة العلمية فيه في العلوم عامة، وفي النحو خاصة، وذلك بفضل مناصرة بني أمية اللغة جرياً على دأب بني أبيهم في المشرق، فأرغبوا العلماء وكافؤوهم على دراستهم وتصنيفهم، فأثمر هذا نهضة فكرية في تلك البلاد، ونمت الحركة العلمية وكثر العلماء فتطلعت إليهم الأنظار في سائر البلاد الإسلامية، وكان للأندلسيين وسائهم الخاصة في اكتساب العلم وتأسيس حركته في بلادهم، وأهم تلك الوسائل: - دعوة بعض العلماء المشاركة إلى الأندلس؛ ليفيد أهله من علمهم وأدبهم، كرحيل (أبي علي القالي) صاحب كتاب (الأمالي) من بغداد إلى الأندلس بدعوة من الخليفة (عبد الرحمن الناصر)، والذي أحدث نهضة لغوية ونحوية في الأندلس، فهو أول من أسس علوم اللغة وآدابها في الأندلس، وقد تخرج على يده عدد من اللغويين والأدباء في الأندلس، وأصبح كتابه الأمالي مرجعاً أساسياً في اللغة والأدب.

- رحيل بعض الأندلسيين إلى المشرق لتحصيل علم من علوم المشاركة ثم العودة إلى الأندلس لنشر ذلك العلم بين أهله، مثال ذلك: رحيل (يحيى ابن يحيى اللبثي) إلى المدينة، وتلمذ على يد الإمام مالك وأخذ عنه (كتاب الموطأ). ورحيل الأفشنيق إلى المشرق، وقد لقي في مصر أبا جعفر الدينوري، وأخذ عنه كتاب سيبويه.

- جمع الكتب وإقامة المكتبات العامة والخاصة، وتشجيع العلماء: كان لبعض الخلفاء عناية كبيرة بالمكتبات، ومنهم الخليفة (عبد الرحمن الناصر) الذي أنشأ مكتبة عظيمة في قرطبة جمعت أربعين ألف مجلد في شتى العلوم، ومكتبة المنصور الذي اتخذ لها قِيماً للتدقيق والضبط، وغيرهما من المكتبات، مما ساعد في ازدهار الحركة العلمية في الأندلس.

وقام الخلفاء والأمراء بتشجيع العلماء على التأليف والتصنيف، فوضعوا أعظم المؤلفات، وخير مثال على ذلك ما فعله الحكم المستنصر بالله مع أبي بكر الزبيدي، واضع كتاب (طبقات النحويين واللغويين)، ومع العالم الكبير أبو علي القالي الذي وضع أجود كتبه بطلب وتشجيع من الخليفة الأندلسي الحكم، "الذي بالغ في إكرامه وإجلاله... فكان الخليفة الحكم أحب ملوك الأندلس للعلم وأكثرهم اشتغالا به، وحرصاً عليه، وكان يحث أبا علي القالي على التأليف، وينشطه بواسع العطاء، ويشرح صدره بالإفراط في الإكرام"<sup>20</sup>. وقد عبّر القالي عن هذا الإكرام الذي حظي به في مقدمة

محمود جال، الإصحاح في شرح الاقتراح، (دمشق، دار القلم، الأولى، 1989م) 74، 18.

شوقي ضيف، المدارس النحوية، 293، 19.

أبو علي إسماعيل، القالي، الأمالي، 1/ع (المقدمة). مراجعة لجنة إحياء التراث العربي، (بيروت، دار الأفاق الجديدة، 1400هـ). 20.

أما عليه فقال عن الحكم: "فرأيت-أيداه الله- أجلّ الناس بعد أبيه خطرا وأرفعهم قدرا، وأوسعهم كنفا، وأفضلهم سلفا، وأعزّهم علما، وأعظمهم حلما".<sup>21</sup>

### جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي المشرقي:

إن صعوبة علم النحو السبب الرئيس في محاولات التيسير منذ العصور الأولى مروراً بالأندلس وصولاً إلى يومنا هذا، فأغلب كتب النحو لا تصلح إلا لمن أتقن العلم ولا تصلح للمبتدئ. وقد رأى علماء الأندلس أن نحو المشرق يصعب على الأندلسيين، وخاصة بعدما أوغل بعض العلماء في تعقيد النحو العربي، فأصبح النحو صعباً على الدارسين، لذلك كان لا بد من تيسيره بطريقة تُسَوِّل على الدارس الوصول إلى غايته بسهولة، وتبسيط له فهم النحو، وإدراك معاني هذا العلم الجديد؛ فُلغة أهل الكوفة والبصرة على عظمها إلا أنها كانت صعبة عليه، لذا كان لا بد للغة النحو أن تتسم بالوضوح والاختصار والإيجاز، لغة يستطيع الدارس الوقوف على مراميها، وكان لا بد لكتب النحو من ترتيب وتنظيم، ولا بد من مادة علمية تناسب الناشئة، وتتسم بالبعد عن التعقيد والمغاللة في النحو.

ولا بد من الإشارة هنا إلى دافع آخر لتيسير النحو عند الأندلسيين، ألا وهو اختلاف الأجناس التي كانت تسكن الأندلس؛ فقد كان المجتمع الأندلسي يشكل مزيجاً من الألسن واللغات، حيث تواجد العرب والبربر والموالي إضافة إلى السكان الأصليين للأندلس الذين أطلق عليهم عجم الأندلس. وقد دخل العرب الأندلس على شكل جماعات متفرقين تسمى الطوابع، وأول هذه الطوابع طالعة موسى بن نصير التي كانت تضم حوالي اثني عشر ألفاً من العرب معظمهم من القيسية واليمينية وموالي بني أمية، واستمرت الطوابع إلى أن وصل عددهم ثلاثين ألفاً، ثم كثرت نساؤهم وكثرت عيالهم إلى أن أصبح عددهم ثلاثمائة ألف تقريباً بعد عشرين سنة من ذلك، وقد انتشر هؤلاء في شبه الجزيرة انتشاراً واسعاً بحيث لم تخل منهم ناحية من نواحي الشرق والجنوب والوسط والغرب.

أما البربر فقد كانت أعداد من اشترك منهم في فتح الأندلس تزيد على أعداد العرب أضعافاً تبعها تيار من الهجرة البربرية اتصل واستمر عقب الفتح مباشرة، ولم يلبث شبه الجزيرة أن امتلأ بهؤلاء المهاجرين، إضافة إلى هذا فقد كانت تتواجد بالأندلس جماعة كبيرة من الموالي، زادت أعدادهم زيادة عظيمة بعد سقوط الدولة الأموية في المشرق.

ولا ننسَ صنفاً آخر وهم سكان الأندلس الأصليون الذين أطلق عليهم (عجم الأندلس) أو (عجم الذمة)، وهم الجزء الأكبر من عناصر سكان الأندلس، يتشكل هذا الصنف من الشعب الإيبيري، وهو شعب أوروبي نصراني في غالبيته العظمى ذو لغة إيبيرية رومانية يغلب عليها الطابع الروماني، سماها العرب بعجمية أهل الأندلس وباللطينية.

وأمام هذا التنوع اللغوي كان علماء الإسلام يسعون لنشر اللغة العربية في الأندلس لأنها لغة القرآن ولا يُتعلَّم الدين دون تعلمها، فكان لزاماً عليهم أن يعملوا على تيسيرها وكل العلوم المرتبطة بها كعلم النحو، خاصة وأن معظم سكان الأندلس كانوا حديثي عهد بهذه اللغة وبهذا الدين الجديد، إضافة إلى أن هذه الأجناس المختلفة كانت تسعى لنشر لغاتها؛ لذلك انبرى علماء العربية لتبسيط النحو وتيسيره كي يستطيعوا منافسة اللغات الأخرى بجعل اللغة العربية ذات نحو قوي سهل المأخذ على المتعلم.

وتحقيقاً لهذا الهدف لجأ أكثر نحاة الأندلس إلى وضع المتون بنوعها: المنظوم والمنثور، ومن هذه المؤلفات:

- **المقدمة الجزولية**: لأبي موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي (ت.607هـ)، وقد عرفت بـ (قانون النحو).

- **الدرة الألفية في علم العربية**: من نظم النحوي المعروف بابن معط (ت.628هـ)، وقد نالت هذه الألفية اهتماماً كبيراً بالدرس والشرح.

- **غاية الإحسان في علم اللسان**: للعلامة ابن حيان الأندلسي (ت.745هـ)، "وقد لفتت هذه المقدمة أنظار النحاة المعاصرين، فألّفوا كتباً بنفس الاسم وقاموا بنظم المقدمة، كما أن مؤلفها قد قام بشرحها أيضاً"<sup>22</sup>.

- **ألفية ابن مالك**: وهي منظومة علمية تعليمية، جمعت خلاصة النحو في إيجاز محكم.

وتحقيقاً لهذه الغاية قام نحاة الأندلس بشرح كتب النحو المشهورة في المشرق ككتاب (الإيضاح) لأبي علي الفارسي، وكتاب (الجمال للزجاج)، وكتاب سيبويه الذي اشتمل على النحو بأكمله، فانكب عليه النحاة شرحاً ودراسة واختصاراً، وقد اختلفت مناهج العلماء في تحليل كتاب سيبويه، فمنهم من قام بشرحه جملة وتفصيلاً، ومنهم من شرح شواهد الكتاب، ومنهم من أخذ جزئية من الكتاب وشرحها، وأهم العلماء الذين تناولوا كتب النحو بالشرح:

- أهم علماء الأندلس الذين تناولوا كتاب سيبويه بالشرح والتعليق:

الأعلم الشنتمري (ت.476هـ)، وأبو بكر الخفاف (ت.657هـ)، وأبو القاسم الصفا (ت.630هـ)، وأبو علي الشلوبين (ت.645هـ)، وابن عصفور (ت.669هـ)، وابن الضائع (ت.680هـ)، وأبو حيان الأندلسي (ت.745هـ)، وابن خروف (ت.745هـ). وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على الاهتمام الكبير الذي حظي به كتاب سيبويه في الأندلس.

- أهم علماء الأندلس الذين تناولوا كتاب (الجمال) للزجاج بالشرح والتعليق:

ابن الدقاق (ت.605هـ)، ابن معط النحوي (ت.628هـ)، القيداري (ت.630هـ)، ابن الناظر (ت.657هـ)، الأبيدي (ت.680هـ)، ابن أبي الربيع (ت.688هـ)، اللبلي (ت.691هـ)، وغيرهم.

- أهم علماء الأندلس الذين تناولوا كتاب (الإيضاح) لأبي علي الفارسي بالشرح والتعليق:

الزهري (ت.617هـ)، ابن معزوز القيسي (ت.625هـ)، ابن هشام الخضراوي (ت.646هـ)، ابن الحاج (ت.651هـ)، أبو بكر الخفاف (ت.657هـ)، ابن الضائع (ت.680هـ)، ابن أبي الربيع (ت.688هـ).

وبالعودة إلى تاريخ النحو الأندلسي نلاحظ أن لتلك الشروحات قيمة كبيرة، وأهمية بالغة في تيسير نحو المشرق. "ولم يكن شرح علماء الأندلس لهذه الكتب بدافع التسلية أو إضاعة الوقت، بل كان هذا الشرح وذلك التوضيح ذا قيمة عظيمة، فهم رأوا أنّ هذه الكتب فيها من الصعوبة والتعقيد

المرجع السابق: الأمالي، 3، 21.

عبد القادر رحيم الهيبي، خصائص مذهب الأندلس النحوي، (فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، 2004)، 22.

ما يكفي لتعسير فهمها على ناشئة الأندلس وطلابهم؛ لأنهم حديثو العهد بهذا العلم؛ لذلك وقفوا عاجزين أمام لغة هذه الكتب النحوية القديمة المعقدة وطريقتها الملتوية، مع أنّ هذه المتون لا أحد يستطيع إنكار فضلها وعظمة شأنها في علم النحو، فهي مناسبة لأهل البصرة والكوفة؛ لأنهم كانوا قريبين من العلماء الذين وضعوها؛ فيرجعون إليهم كلما استصعب عليهم أي أمر فيسألونهم ويناقشونهم في مواضيع هذه المتون، ولكن لما انتقلت هذه اللغة إلى الأندلس ظهرت صعوبتها؛ لذلك كان لابد لعلماء هذه البلاد أن يشمروا عن سواعدهم ليُزيلوا عنها غبار التعقيد".<sup>23</sup>

### أعلام النحاة الأندلسيين:

بعد أن تمكن نحاة الأندلس من علم النحو، وأصبح علم النحو لديهم من أهم ما يدرّسونه ويُدْرَسونه، وجدوا في أنفسهم القدرة على التأليف، والقدرة على تجاوز نحو المشرق؛ فولدت في القرنين الثالث والرابع الهجريين مجموعة من الكتب النحوية التي ألفها نحاة الأندلس الذي درسوا على يد علماء المشرق، ومن هؤلاء العلماء الأندلسيين:

#### جودي بن عثمان:

النحوي الأول في الأندلس، مولى لآل طلحة، من أهل مرور، رحل إلى المشرق، فالتقى بالكسائي والفراء وغيرهما، وهو أول من أدخل كتاب الكسائي إلى الأندلس، وله تأليف في النحو.<sup>24</sup>

#### أبو بكر الزبيدي:

أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي، له عدد من الكتب منها: (لحن العوام)، و(طبقات النحويين واللغويين)، و(الواضح في اللغة)، ويعد هذا الكتاب من أشهر الكتب المختصرة؛ لأنه كان كتابا تعليميا بعيدا عن المغالاة والتعقيد في النحو، معتمدا على أسلوب الحوار، وعلى الإكثار من مسائل الإعراب، وعلى الابتعاد عن مسائل الخلاف، وقد استخدم الزبيدي اللغة البسيطة التي يحتاجها المتعلم للوصول إلى مراده.

#### ابن مالك:

هو أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله الطائي، إمام النحاة واللغويين، ولد بجبان "بلد بالأندلس" وسمع من الشلوبين أياما، ثم ورد المشرق حاجا، ثم استوطن الشام فسمع بدمشق من السخاوي، وبحلب من ابن يعيش الحلبي، ثم تصدر لإقراء العربية في حلب مدة فدمشق التي توطنتها، فأتى بما أعجز الأوائل لقوة حافظته، فكان يستشهد بالقرآن، فإن لم يجد فالسنة، فإن لم يجد فأشعار العرب التي كان في استذكارها نسيج وحده، وصنف مؤلفات نظما ونثرا تشهد له بالتفوق على من تقدم، وجمع بعضهم أكثرها في نظم ذكره السيوطي في البغية، ولتقتصر هنا على النحوية، فمن النظم "الكافية الشافية" استوعب فيها كل ما سمعه وشرحها، وهي في ثلاثة آلاف بيت، و"الألفية" وهي ملخص الكافية، وهي في ألف بيت، وتعتبر أهم منظومة تعليمية؛ لذلك قد طبقت شهرتها الأفاق، ورغب الناس في قراءتها، وكان لها الدور البارز في تعليم النحو وتطويره، وقد تميزت الألفية بدقة أفكارها، وخفة ألفاظها، وإحكام صيغتها، وسداد منهجها، وقد ترجمت إلى لغات عدة، وعليها شروح كثيرة، ومن شروحها شرح ابن الناظم، وشرح المرادي، وشرح ابن عقيل، وشرح الأشموني.

ومن النثر "الفوائد" و"تسهيل الفوائد" وتكميل المقاصد<sup>25</sup> وقد بلغت مصنفاته نحو ثلاثين مصنفا، وقال عنه د. شوقي ضيف: كان أمة لا في الاطلاع على كتب النحاة وآرائهم فقط، بل أيضا في اللغة وأشعار العرب التي يُستشهد بها في النحو، وكذلك كان أمة في القراءات، ورواية الحديث النبوي، ولابن مالك اختيارات كثيرة من مذاهب البصريين والكوفيين والبغداديين وسابقيه من الأندلسيين غير آراء اجتهادية ينفرد بها.<sup>26</sup>

#### ابن مضاء:

هو أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن ابن مضاء، النحوي الأندلسي، القرطبي، توفي سنة (592هـ)، انقطع إلى العلم والعلماء معنًا أشد العناية بعلماء عصره؛ ومن أجل ذلك نراه يترك قرطبة إلى إشبيلية حيث يدرّس كتاب سيبويه على ابن الرماك، كما هاجر إلى سبتة طلبا للحديث، وما زال يُعنى بالحديث حتى صار عالما بالرواية، وكان مقرئا مجدداً، ومحدثاً مكثراً السماع، عارفاً بالأصول والكلام والطب والهندسة والحساب، ثاقب الذهن، متوقد الذكاء، كان يميل إلى دعوة الموحدين، ويذهب مذهبه فأسندوا إليه منصب القضاء في بلدهم.<sup>27</sup>

وقد وجد ابن مضاء أن كتب النحو تكبر وتتضخم، ومادة النحو تتسع وتتفرع، وذلك بما أدخله فيها النحاة المتأخرون ولاسيما الأندلسيون من تعديلات وتأويلات ومسائل خلافية، وآراء واستنتاجات لم يكن بها كبير نفع للنحو ولا للدارسين أو المتكلمين؛ ولهذا اعتنى بتأليف ثلاثة كتب هي: (المشرق في النحو) و (تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان)، و (الرد على النحاة) الذي دعا فيه ابن مضاء إلى هدم الكثير من الأسس التي استقر عليها النحو المشرقي وكان رده موجهاً إلى النحو البصري خاصة، وإن كانت دعوته تعم مذاهب المشرق في النحو.

دعا ابن مضاء إلى إلغاء نظرية العامل، وإلغاء المسائل الخلافية النظرية التي تجري بين النحاة، وإلغاء العلل الثواني والثالث، وكان مقصده من إلغاء هذه الأمور التخفيف عن المتعلمين كي لا يتبها في مثل هذه التعريفات التي لا تقيد النطق ولا تزيد المتكلم علماً بكلام العرب.<sup>28</sup>

#### عبد الملك بن حبيب السلمي:

هو من كبار علماء النحو واللغة في الأندلس، جمع إلى علم الفقه والحديث علم الإعراب واللغة والتصريف في فنون الأدب، قيل عنه: فقيه الأندلس عيسى بن دينار، وعالمها عبد الملك بن حبيبي، له عدد من المؤلفات منها (غريب الحديث).<sup>29</sup>

#### الأفشيني:

هو محمد بن موسى الأندلسي رحل إلى المشرق، فأخذ بمصر عن أبي علي الدينوري كتاب سيبويه، وانتسخه، وبالْبصرة عن المازني، ثم عاد إلى الأندلس ومعه الكتاب، ويغلب على الظن أنه أول من أدخل الكتاب الأندلس، توفي بقرطبة سنة ٣٠٧هـ.<sup>30</sup>

فادي صقر أحمد عصبية، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، (نابلس، جامعة النجاح، 2006) 79، 23.

أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة، دار المعارف، الثانية)، 256، 24.

محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تحقيق: إبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن اسماعيل، (مكتبة إحياء التراث الإسلامي، الأولى، 2005)، 207، 25.

شوقي ضيف، المدارس النحوية، 301، 26.

جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان، المكتبة العصرية)، 27.

خديجة الحديثي، المدارس النحوية، (إريد، دار الأمل، الثالثة، 2001)، 314، 316-317، 28.

أبو بكر الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، 260، 29.

30 محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تحقيق: إبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن اسماعيل، (مكتبة إحياء التراث الإسلامي، الأولى، 2005) الفصل، 3، 182.

هو الرباعي الأندلسي وأصله من جيان، حذق علوم العربية واشتهر بالنحو؛ ورحل إلى مصر، فلقى أبا جعفر النحاس وروى عنه كتاب سيبويه، ثم عاد إلى الأندلس وتلقى عنه الزبيدي؛ وكرمت منزلته عند الحكم المستنصر بالله، وأشرف على الدواوين، توفي بقرطبة سنة ٣٥٨هـ.<sup>31</sup>

#### ابن عصفور:

هو أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي، أخذ عن الدجاج والشلوبيني، وكان أصبر الناس على المطالعة، بيد أنه وقف عنايته على النحو فما لبث أن توحد بحمل راية النحو في بلاد الأندلس التي تجول فيها كثيرا، وحدثت جفوة بينه وبين الشلوبيني، وله مصنفات منها: المقرب ومختصر المحتسب لابن جني، وثلاثة شروح على الجمل الكبيرة للزجاجي.<sup>32</sup>

#### ابن الضائع:

هو أبو الحسن علي بن محمد الإشبيلي الكتامي، لازم الشلوبيني وأخذ عنه كتاب سيبويه بين قراءة وسماع، ثم فاق أترابه وأبدع في التصنيف، له شرح على سيبويه جمع فيه بين شرحي السيرافي وابن خروف مع الاختصار الحسن، وله مشكلات عجيبة أباها في كتاب سيبويه سبق الإلماع إليها في الكلام على علم النحو وعلمائه في الأندلس والمغرب في المطلب الأول، وشرح على الجمل الكبيرة للزجاجي، وكان لا يعتمد في الاستشهاد على الحديث مخالفا سنة ابن خروف في التعويل عليه، توفي سنة ٦٨٠هـ.<sup>33</sup>

#### ابن أجروم:

هو أبو عبد الله محمد بن محمد الصنهاجي، المشهور بابن أجروم "الفقيه الصوفي" بلغة البربر، ولد بفاس وذاع فضله في علوم كثيرة إلا أنه غلبت عليه القراءات والنحو ولم يؤثر عنه في النحو إلا مقدمته التي طبقت شهرتها الأفاق وترجمت إلى عدة لغات وتناولها بالتعليق عليها كثير من الأعلام، ومن أشهر شروحها شرح الشيخ حسن الكفراوي، توفي ابن أجروم بفاس سنة ٧٢٣هـ.<sup>34</sup>

#### ابن خروف:

أبو الحسن علي بن محمد بن علي، المعروف بابن خروف الأندلسي الإشبيلي أو ابن خروف النحوي، كان إماما في العربية محققا مدققا ماهرا، مشاركاً في علم الأصول، كتب شرحاً لكتاب سيبويه عظيم الفائدة، وكتب شرحاً للجمل للزجاجي، وكتبا للفرائض. وكتب ردودا في علم النحو على أبو زيد السهيلي وله مناظرات في العربية معه، وقام بتعليم علم النحو العربي في عدة بلدان.

#### الشلوبين:

هو عمر بن محمد المكنى بابي علي، تلميذ السهيلي والجزولي، كان غمام عصره في العربية، أقرأ نحو ستين سنين وله تعليق على كتاب سيبويه، وشرحان على الجزولية، ومصنف في النحو سماه التوطئة.<sup>35</sup>

#### ابن هشام الخضراوي:

هو أبو عبد الله محمد بن يحيى الخزرجي الأندلسي المتوفى بتونس سنة ٦٤٦ تلميذ ابن خروف، كان إماما مقدما في العربية عاكفا على تعليمها. وله شرح على إيضاح الفارسي وشرح على أبياته، وصنف فصل المقال في أبنية الأفعال، كما صنف النقض على الممتع لابن عصفور. وله آراء نحوية مختلفة في المغني والهمع يتفق في طائفة منها مع البصريين أو الكوفيين أو سابقيه من الأندلسيين وفي طائفة أخرى يستقل عنهم جميعا.<sup>36</sup>

#### الشاطبي:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، تلقى العربية وغيرها عن أئمة المغاربة، منهم أبو القاسم السبتي وأبو عبد الله التلمساني والمقري وابن لب فنيغ في فنون متنوعة وصنف فيها مؤلفات أعجب بها العلماء، منها "المواقفات" في أصول الفقه، ومن مؤلفاته النحوية: شرحه على الألفية لابن مالك فإنه المنهل العذب الذي اغترف منه النحاة بعده.<sup>37</sup>

#### أبو حيان:

هو أنثري الدين محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي (ت:745) تلميذ أبي جعفر بن الزبير وابن الضائع في النحو، رحل أبو حيان عن موطنه شابا، منتقلا في شمال إفريقيا، إلى أن حضر حاله في القاهرة، ولزم بهاد الدين ابن النحاس تلميذ ابن مالك وأخذ كتابه عنه. وغُهد إليه بتدريس النحو في جامع الحاكم بالقاهرة، وكان يقول خير الكتب النحوية المتقدمة كتاب سيبويه، وأحسن ما وضعه المتأخرون كتاب التسهيل لابن مالك، وكتاب الممتع في التصريف لابن عصفور، وقد تخرج على يده جيل من النحاة المصريين أمثال ابن عقيل. له مصنفات في النحو أهمها (الارتشاف)، وهو في ستة مجلدات<sup>38</sup>، وقيل فيه: أنه نحوي عصره، ولغوي، ومفسره، ومحدثه، ومقرؤه، وأدبيته؛ وذلك لكونه على جانب عظيم من الثقافة وسعة الاطلاع في جميع العلوم، وأما النحو فهو إمام الناس كلهم فيه.<sup>39</sup>

#### نحاة الأندلس و الآراء النحوية:

لم تلبث الحركة النحوية في الأندلس أن نمت وترعرعت، وظل علماء الأندلس يتوالون متتابعين ينهلون من منابع النحو الثلاثة (الكوفي، البصري، اليعقوبي) ويجمعون بينها فيما يدرسون ويصنفون، ويتعمقون في فهم دقائق النحو، واستنباط أحكامه وتحليل قضاياه، هكذا إلى أن تكونت شخصية النحو الأندلسي الذي استقل عن نحو المشرق، وبرزت له آراء نحوية تفردها، وأصبح له منهج خاص يدعو إلى نبذ التقليد، ويحث على الاجتهاد والنقد في النحو، ويميل إلى تبسيط النحو وتبسيطه وتخليصه من العلل الجافة، وترك كل ما يستغنى عنه، وإلغاء المسائل الخلافية، ورفض العلل والتأويل، والاتجاه نحو المتون المنظومة، والاعتماد على المسموع بالرواية من اللغة العربية الفصيحة، والإكثار من الاستشهاد بالحديث الشريف.

محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، 182.

32 محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، 206.

33 محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، 208.

34 محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، 209.

شوقي ضيف، المدارس النحوية، 302.

شوقي ضيف، المدارس النحوية، 303.

37 محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، 210.

38 شوقي ضيف، المدارس النحوية، 320.

39 خديجة الحديثي، المدارس النحوية، 324.

وفي فح الطيب إشارة إلى أن النحو الأندلسي بلغ قمته في القرن السابع الهجري، وأن نحاته أصبحوا يضاهاون أئمة النحو في المشرق، حيث يعتبر هذا القرن الفترة الذهبية التي بلغت فيها الدراسات النحوية قمة الازدهار تأليفاً، وتصنيفاً، وشروحا، مما أغنى المكتبة العربية بالكثير من المصنفات في علم اللغة، وبالتالي أصبح للمذهب الأندلسي معالم واضحة، وأسس وسمات تميّز بها عن نحو سابقه.<sup>40</sup>

وهكذا ظهرت مدرسة نحوية جديدة ذات منهج وطابع جديد، وصفه الطنطاوي بقوله: "وتقضي البداية أن إنعام الفكر في المسائل موح وملهم باستكمال بعض النقص الفانت... فإنهم عدلوا عن بعض آراء المشاركة في النحو وخالفوهم...، وبذلك استحدثوا مذهباً رابعاً عُرف بمذهب المغاربة أو الأندلسيين، ظهرت مبادئه من أوائل القرن الخامس الهجري، الذي يعد بحق فجر النهضة النحوية في هذه البلاد".<sup>41</sup>

### أهم الآراء التي تفرد بها نحاة الأندلس:

بعد أن اكتمل النحو ونضج وازدهرت دراسته وتحققت في القرنين السادس والسابع الهجري بظهور نخبة من علماء بلاد الأندلس أسهمت في تطوره وازدهاره حتى بلغ الغاية، صارت لهم آراؤهم المنفردة، وبانت لهم نزعاتهم النحوية واتجاهاتهم المختلفة، ممن نبغوا في الدراسات النحوية مستدركين على الأوائل ما أغفلوه، أو ناقدين لبعض ما قرروه بالنقد والتعليل والشرح والتحليل وتوضيح دقائقهم، فضلاً عن الكتب التي ألفوها، ما يجعلك تشعر بوجود حركة علمية نشطة، أدت إلى الخلوص إلى آراء جديدة، ومن أشهر من نهج إلى ذلك الأعلام الشنتمري (ت 476 هـ). فقد كان لا يكتفي في الأحكام النحوية بالعلل الأولى بل كان يطلب علة ثانية للحكم، ومن ذلك أيضاً ما تفرد به ابن مالك في أنه لا خلاف في بناء الفعل المضارع إذا لحقته ألف، أو واو، أو ياء، بينما قال بإعرابه جماعة منهم: السهيلي، وابن طلحة، وابن درستويه.<sup>42</sup>

وفرق النحاة بين باء الاستعانة وباء السببية، وانفرد ابن مالك بعدم التفريق بينهما، كما ذهب النحاة إلى أن ما يمنع الصرف وحده أحد أمرين، هما: ألف التأنيث مطلقاً مقصورة كانت أم ممدودة، والجمع المتناهي، وزاد عليها ابن خروف الألف والنون في فعالن وفعلي، وذهب ابن الطراوة في ضمير الشأن إلى أنه حرف، على الرغم من إجماع النحاة أنه اسم، كقوله تعالى (قل هو الله أحد) الإخلاص.

أما آراء ابن مضاء؛ فكان أول من دعا إلى تجديد النحو العربي، وقد أحدثت آراؤه تغييراً واضحاً في الدرس النحوي، وذلك في كتابه (الرد على النحاة)؛ فقد دعا إلى هدم الكثير من الأسس التي استقر عليها النحو المشرقي، وعالج جملة من المسائل النحوية، وبالمقابل ردّ العديد من المسائل، أهمها:

### - إلغاء نظرية العامل:

عارض ابن مضاء رأي النحاة في مسألة العمل، ورأي أنهم قد بالغوا في منح العامل هذه القوة والأهمية في التصرف في الجملة، ورأي أن العمل هو للمتكلم بحسب المعاني التي يريد بها، وأما العوامل النحوية فلم يقل بعملها عاقل لا ألفاظها، ولا معانيها؛ لأنها لا تعقل بإرادة ولا بطبع.<sup>43</sup> ورفض كل ما تجره نظرية العامل من تقدير عوامل محذوفة، ورأي أن القول بالعامل يحرف الكلام عن موضعه.

وعليه اعترض على التقديرات والتأويلات المحذوفة، ليدل على مدى فساد نظرية العامل وقد قسم العوامل التي يحذفها النحاة ثلاثة أقسام:<sup>44</sup>

1- قسم حُذِفَ لعلم المخاطب به مثل قوله تعالى: "وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً". "يعني أنزل خيراً".

2- قسم حُذِفَ والكلم لا يفترق إليه مثل (أزيدا ضربته؟). فإنَّ النحاة يقدرون عامل محذوفاً عمل النَّصْبِ في (زيد) وهو عامل يفسره الفعل المذكور على نحو ما هو معروف في باب الاشتغال.

ويرفض ابن مضاء هذا التأويل الذي جنحوا إليه، والذي لا يمكن للمتكلم أنه قصد إليه ويفسر ذلك بأنَّ هذا من ادعاءات النحويين التي لا دليل عليها إلا ما زعموه، وهذا بناء على أنَّ كلَّ منصوب لا بدَّ له من ناصب.

3- قسم مضمّر إذا ظهر تغيير مدلول الكلم كقولنا (يا عبد الله) عبد الله منصوب بفعل مضمّر تقديره (أدعو) وهذا إذا أظهر تغيير المعنى وصار النداء خيراً بعد أن كان إنشاءً.

وقد أشار من منطلق هذه المسألة رفضه التأويل والتقدير في كتاب الله بزيادة معان فيه من غير حجة أو دليل، لأن القول بأنَّ كل ما ينصب إنَّما ينصب بناصب، والناصب لا يكون إلا لفظاً يدل على معنى إما منطوقاً به، وإما محذوفاً مراداً ومعناه قائم بالنفس، فالقول بذلك حرام...، لأنَّه لا يزداد في القرآن لفظ غير المجمع على إثباته، وزيادة المعنى كزيادة اللفظ، بل هي أخرى لأنَّ المعاني هي المقصودة".

### - إلغاء المسائل الخلافية النظرية:

التي تجري بين النحاة مما لا يفيد في النحو، ولا يفيد الدارس، ومن ذلك خلافهم في ناصب المفعول به، هل بالفعل أم بالفاعل أم بهما معاً؟

### - إلغاء العلل الثواني والثالث:

أراد ابن مضاء التخلص من العلل الثواني والثالث؛ لأنها أفسدت النحو وأثقلت على الدارسين، ولا فائدة مرجوة منها؛ فردها وأخذ فقط بالعلة الأولى، يقول في ذلك: "والحق أنَّ في النحو من أمثال هذين النوعين الثَّانِي والثَّالِث كثيراً ينبغي أن يتجرد منه حتى تخف مؤنته ويسهل أخذه، فأما العلة الأولى فهي التي يهتم بها العلم لأنها في الحقيقة قانون الظاهرة...، أما ما وراءها فيخرج عن نطاق العلم...؛ لأن صاحبه مستغرق في تفكير عقلي مجرد."<sup>45</sup>

### - إلغاء الأمثلة غير العملية:

المقري التلمساني، فح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس (بيروت، دار صادر، 1388هـ) 40

41 محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، ط1، 178.

42 جلال الدين السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (لبنان، المكتبة العصرية)، 73.

43 ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، (القاهرة، الأولى، 1947) 83-84.

44 ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، المرجع نفسه.

45 ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، مرجع سابق، 130.



كان يرى ابن مضاء أن في النحو مسائل لا تزيد النحو إلا تعقيداً، وعلى الدارس ألا يشغل به، كبعض المسائل الخلافية في باب التنازع والتصريف، وهوبذلك أراد "أن يريحا من كل ما يعدل بنا عن صيغ اللّغة إلى ظنون النّحاة في عبارات لا نستخدمها، وألفاظ يمتحن بها بعضهم بعضاً، وهي لا تجري في كلام العرب؛ وإنما تجري في ألسنة النّحاة كي يضيفوا إلى النّحو كل ما يمكن من مشقة وتصعيب.

وينبغي أن لا يفهم أن ابن مضاء دعا إلى إلغاء النّحو العربي، فالنّحو العربي أكثر ثباتاً واستقراراً من أن يلغيه... بل كل ما أراد هو تخليصه من عنق هذه النّظريات التي لم يكسب منها إلا فنونا من العسر والمشقة، حتّى أصبح كثير من مسائله لا يفهم إلا بعد أن يجدد للنّاس الفهم مرارا وتكرارا"<sup>46</sup>.

#### - الدعوة إلى إلغاء القياس:

إن الدعوة إلى إلغاء القياس هي دعوة إلى إلغاء العلل أيضا حيث "كانت هذه الدعوة من الركائز الأساسية في نظرية ابن مضاء من أجل تيسير النحو العربي والخروج به من بعض تعقيداته، وتقوم هذه الركيزة على رفض قياس عامل على آخر في العمل"<sup>47</sup>، "فالشئ لا يقاس على الشئ إلا إذا كان حكمه مجهولاً والشئ المقيس عليه معلوم الحكم وكانت العلة الموجبة للحكم في الأصل موجودة في الفرع"<sup>48</sup>.

#### - الخاتمة:

مما سبق يتضح لنا أن الأندلسيين بذلوا قصارى جهودهم في تطوير النحو وتيسيره، وقد اتبعوا لأجل ذلك وسائل عدة أسهمت في التخفيف من صعوبة النحو التي أثقلت على الدارسين ونفرتهم من نحو المشرق؛ لذا فكر نحاة الأندلس في التجديد الحقيقي في النحو بطريقة ترغّب الدارسين فيه؛ فألفوا المثنون التعليمية المنظومة، ووضعوا الشروح البسيطة، والكتب المختصرة، ورسّموا لأنفسهم منهجا مميّزا، فضلا عن أنهم درسوا كتب النحو المشهورة، فامتلكوا بذلك ملكة لغوية عظيمة، واكتسبوا بمداستها صنعة عربية فريدة، وبذلك أصبحت المدرسة الأندلسية أنموذجاً يحتذى به في تدريس النحو، وترتيبه، وتيسيره، وأصبح منهجها اللغوي منهجا للكثيرين من النحويين، وبها أصبح النحو الأندلسي له أبلغ الأثر في الحفاظ على قواعد النحو العربي.

ونختم بقول ابن خلدون عن نحاة الأندلس وأسلوبهم: "وأهل صناعة العربية بالأندلس ومعلموها أقرب إلى تحصيل هذه الملكة وتعليمها ممن سواهم؛ لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم، والتفقه في الكثير من التراكمات في مجالس تعليمهم، فيسبق إلى المبتدئ كثير من الملكة أثناء التعليم، فتنتطبغ النفس بها وتستعد إلى تحصيلها وقبولها"<sup>49</sup>.

#### المصادر والمراجع

- ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى، 1956.
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول، بيروت: دار القلم، د.ت.
- ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن الإشبيلي، المقرب، تحقيق: الحواري و عبد الله الجبوري، بغداد: د.ن، 1971.
- ابن مالك، أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله الطائي، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل عيون السود، د.م: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2000.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، بيروت: دار صادر، الطبعة الثالثة، 1990.
- الأنصاري، أحمد مكي، أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو و اللغة، القاهرة: د.ن، 1964.
- التلمساني، المقرئ، نوح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1962.
- الجمحي، محمد بن سلام، تحقيق: محمود شاكر، الجزء الأول، القاهرة: مطبعة المنى، الطبعة الأولى، 1974.
- الحديثي، خديجة، المدارس النحوية، إربد: دار الأمل، الطبعة الثالثة، 2001.
- الزبيدي، أبو بكر، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الثانية، د.ت.
- السنوسي، جمال. زغرودة، إسماعيل، المدرسة الأندلسية وجهودها في تجديد الدرس النحوي ابن مضاء القرطبي أنموذجاً، د.م.: مجلة التعليم، العدد 371، 2021.
- السيد أمين، الاتجاهات النحوية في الأندلس، القاهرة: دار العلوم، 1975.
- السيوطي، جلال الدين، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان: المكتبة العصرية، د.ت.
- الطنطاوي، محمد، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، تحقيق: أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل، د.م: مكتبة إحياء التراث الإسلامي، الطبعة الأولى، 2005.
- القالي، أبو علي إسماعيل، الأمالي، مراجعة: لجنة إحياء التراث العربي، بيروت: دار الأفاق الجديدة، 1979.
- القرطبي، ابن مضاء، الرد على النحاة، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة: د.ن، الطبعة الأولى، 1947.
- الهيتي، عبد القادر رحيم، خصائص مذهب الأندلس النحوي، نابلس: جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، 2004.
- جال، محمود، الإصباح في شرح الاقتراح، دمشق: دار القلم، الطبعة الأولى، 1989.

<sup>46</sup> ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة مرجع سابق 44-45-46.

<sup>47</sup> فادي صقر أحمد عصيد، جهود نحاة الأندلس في تيسير النحو العربي، 123.

<sup>48</sup> ابن مضاء القرطبي، الرد على النحاة، 137.

<sup>49</sup> ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1، (بيروت دار القلم) 362.

- ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، تحقيق: عبد الله الحلِيم النجار، القاهرة: دار المعارف، الطبعة الخامسة، د.ت.
- عصيدة، فادي صقر أحمد، جهود نحاتة الأندلس في تيسير النحو العربي، نابلس: جامعة النجاح، 2006.
- عمر، أحمد مختار، البحث اللغوي عند العرب، القاهرة: عالم الكتب للنشر، الطبعة الرابعة، د.ت.